



[١٤٣٩ هـ]

◉◉◉ الآدابُ الشرعيَّةُ للمرأةِ المسلمةِ

◉◉◉

لفضيلة الشيخ محمد العويّد - حفظه الله -

معهد العلوم الشرعية العالمي

التابع لملتقى طالبات العلم

## المرأة والقرآن ١

## القرآن منهج حياة:

عندما أرسل الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم (شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً) {٤٥} وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً) {٤٦} الأحزاب ، أنزل عليه القرآن الكريم (وَمَا يَجْعَلُ لَهُ عِوَجًا) {١} قَيْمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا) {٢} الكهف.

وأنزله سبحانه وتعالى (مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ) {ص ٢٩}

أنزله سبحانه وتعالى منهجاً للحياة كلها بعد أن تبدلت حياة الناس ونزلت إلى أسفل سافلين ، ولم يترك

سبحانه وتعالى شيئاً مما يصلح القلوب إلا وبينه (مَا فَطَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) الأنعام ٣٨

ومن اتبعه واستمسك به فقد نجا ومن أعرض عنه فقد خسر: (فَإِذَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) {١٢٣} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) {١٢٤} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا) {١٢٥} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى) {١٢٦} طه

والمسلم في سعادة كبيرة مستمرة حتى مع حصول الفقر والأمراض وأنواع البلاء عليه ما دام تالياً لكتاب ربه متدبراً له؛ لأنه يعلم أن السعادة في التمسك بالقرآن، ومهما حاول المعرض عنه أن يحصل أسباب السعادة بجمع المال والحرص على الدنيا فإنه لن يستشعر السعادة الحقيقية وسيظل في ضنك من العيش؛ لأن السعادة التي تغمر القلب لا بد أن تهتدي بهدي القرآن.

وأعظم المهتدين الذين يتدبرون آياته ويقفون عند حدوده ويعملون به، ويعيشون حياتهم متمسكين به، قال ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة ١٨٧: "فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها". اهـ.

## تدبر القرآن

تعريف التدبر: هو النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء . قاله ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز.

والقرآن لا ينتهي تدبره عند معانٍ محدودة؛ لأنه كتاب رب العالمين ويستحيل أن تحيط به عقول البشر، وفيه من المعاني ما لا يحصيه عد ولا يحيط به فهم، كما أنه منزه عن الخطأ، فمن قرأه قرأ كتاباً محفوظاً عن التبديل والتحريف وقد قال الله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} الحجر ٩.

### أهمية تدبر القرآن:

تبرز أهمية تدبر القرآن في عدة أمور، منها:

١- أن القرآن مبارك: ففيه بركة لقارئه بتدبره، قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ

أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ} ص ٢٩ ، فالبركة مرتبطة بالتدبر

٢- ثناء الله تعالى على من تدبره: قال سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا

تُليَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَيْبِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} ٢ {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} ٣ {أُولَئِكَ

هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} ٤ {الأنفال

٣- ذم الله تعالى لمن ترك التدبر: كما قال سبحانه وتعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ} القرآن أم على قلوبٍ

أَفْقَاهُا} محمد ٤٤ .

وترك التدبر أدعى إلى هجرانه والتشبهه بالمستكبرين عنه المعرضين، وهو ما توعدده الله تعالى كما قال سبحانه:

{وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّضَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} لقمان ٧ .

حتى عد بعض أهل العلم أن ترك تدبره من هجرانه، قال الله تعالى: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا

الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} الفرقان ٣٠ قال ابن كثير رحمه الله: وترك تدبره من هجرانه.

٤- أن أجر المتدبر أضعاف أجر القارئ: وقد ثبت عن أبي أيوب بن موسى، قال: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبِ الْفُرْطَيِّ

يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قرأ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ

حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ. رواه الترمذي وهو

صحيح.

ومضاعفة الأجر تدل على التفضيل، فأجر القراءة المجردة لحسنه لكل حرف، ثم تتضاعف إلى عشرة أضعاف

بحسب التدبر والعمل.

والمتدبر أفضل من القارئ وقد ثبت عن أبي موسى الأشعري، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مِثْلُ الَّذِي

يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالْأُتْرُجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالْتَّمْرِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمِثْلُ

الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلَا رِيحَ لَهَا". رواه البخاري.

٥ - أن القلب محتاج إلى تدبر القرآن: ففيه صلاحه وتقواه، وفيه شفاؤه من أمراض القلوب، والإنسان في حيرة واضطراب لا يزيله إلا تدبر القرآن، وقد قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ {٥٧} قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ {٥٨} سورة يونس.

وفي القرآن تثبيت للقلب، وقد جعله الله تعالى مثبتاً لفؤاد النبي صلى الله عليه وسلم: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً } الفرقان، ٣٢

٦ - أن العمل مرتبط بالتدبر: ومن يقرأ قراءة مجردة عن الفهم فلن يعمل، ولذا نجد أن الخوارج لا يعملون بالقرآن مع كثرة قراءتهم له، وما منعهم من العمل إلا عدم التدبر.

### السلف وتدبر القرآن

تميز الصحابة رضي الله عنهم بالإيمان وحسن الاتباع؛ لأنهم عايشوا التنزيل واعتنوا به قراءةً و تدبراً وعلماً وعملاً. ونجد في سيرهم ما يدل على علو سبقتهم في ذلك، و كانوا رضي الله عنهم يعيشون ذلك أفراداً ومجتمعين، وإمامهم صلى الله عليه وسلم كان يبكي أحياناً متأثراً بالقرآن، وقد ثبت أنه كان يتأثر عند سماعه لبعض الآيات، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ، قَالَ: «نَعَمْ» فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} [النساء: ٤١]، قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ» فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَدْرِفَانِ. متفق عليه

وكان من هديه في تأثره بالآيات ترديدها حتى الصباح وقد ثبت عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: «قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ يُرِدِّدُهَا» وَالْآيَةُ: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

[المائدة: ١١٨]. رواه النسائي في الكبرى وابن ماجه وهو صحيح

وهم يجتمعون على فهم آيات القرآن وتوثر فيهم كما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ٢٨٤]، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرَّكْبِ، فَقَالُوا: أَيُّ رَسُولَ اللَّهِ، كُنْفَنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا افْتَرَاهَا الْقَوْمُ، دَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } [البقرة: ٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } [البقرة: ٢٨٦] " قَالَ: نَعَمْ " { رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا } [البقرة: ٢٨٦] " قَالَ: نَعَمْ " { رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ } [البقرة: ٢٨٦] " قَالَ: نَعَمْ " { وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [البقرة: ٢٨٦] " قَالَ: نَعَمْ". رواه مسلم

يتبين منهج السلف مع القرآن في أمور كثيرة منها:

١ - التآني في قراءة القرآن: وهو ما رسخه النبي صلى الله عليه وسلم في أذهان الصحابة فقد ثبت عن عبد الله بن عمرو، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي أَرْبَعِينَ. رواه الترمذي وهو صحيح.

قراءة القرآن مرتبطة بالتدبر وهو ما يتنافى مع سرعة قراءته.

وأقله أن يقرأ في ثلاث لما ثبت عن عبد الله بن عمرو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ ". رواه أبو داود وهو صحيح

وما ثبت عن بعض السلف مما يخالف ذلك فهو محمول على واقعات عين لا أنها من دأبهم ، كما يروى عن عثمان أنه قرأ القرآن في ركعة ، وأن الشافعي ختم في رمضان ستين مرة وغيرها مما كثر نقله ، كما ينبغي التنبه إلى أن الأوقات الفاضلة يجد المسلم فيها نشاطاً وفرصة لعمل الخيرات والإكثار منها فربما أكثر من قراءة القرآن وقضى يومه كله معه ، فيتحصل له في بعض الأيام ختمة في ذلك اليوم.

مع العلم أنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام بالقرآن كله في ليلة أو ختمه في يوم واحد ، فخير الهدى هدي محمد صلى الله عليه وسلم.

كما أن السنة صريحة في أن الفهم لا يتحقق لمن قرأه في أقل من ثلاث ، ولعل السنة في ذلك أن يقرأه في أكثر من ثلاث ، والثلاث هي الحد الفاصل بين الفهم وعدمه.

عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: غَدَوْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ رَجُلٌ: قَرَأْتُ الْمَقْصَلَ الْبَارِحَةَ، فَقَالَ: "هَذَا كَهَذَا الشُّعْرِ إِنَّا قَدْ سَمِعْنَا الْقِرَاءَةَ، وَإِنِّي لَأَحْفَظُ الْقُرْآنَ الَّتِي كَانَ يَقْرَأُ بِهِنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَمَانِي عَشْرَةَ سُورَةً مِنَ الْمَقْصَلِ، وَسُورَتَيْنِ مِنْ آلِ حَمٍ". متفق عليه

٢ - معرفة معانيه وأسباب نزوله : عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : "كُنَّا نَتَعَلَّمُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ فَمَا نَعْلَمُ الْعَشْرَ الَّتِي بَعْدَهُنَّ حَتَّى نَتَعَلَّمَ مَا أَنْزَلَ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ مِنَ الْعَمَلِ" . رواه ابن جرير و الطحاوي في مشكل الآثار .

٣ - الاعتناء به قراءة في صلاة الليل : لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قواماً ليل يقرأ فيه القرآن ويتدبره ويقف عنده ، عَنْ حُدَيْفَةَ ، : "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ الْبَقْرَةَ، وَالْأَمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ فِي رُكْعَةٍ لَا يَمُرُّ بِآيَةٍ رَحْمَةً إِلَّا سَأَلَ، وَلَا بِآيَةٍ عَذَابٍ إِلَّا اسْتَجَارَ". رواه النسائي وهو صحيح.

و الصحابة كعادتهم أنهم سباقون للاقتداء به صلى الله عليه وسلم فقد ثبت عَنْ أَبِي مُوسَى ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ، وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ، إِذَا لَقِيَ الْخَيْلَ، أَوْ قَالَ: الْعُدُوَّ، قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ". متفق عليه

### حكم تدبر القرآن وكيف يتحقق

هجر القرآن من موانع التدبر ، وكيف يتدبر من لا يعرف القرآن؟! وكيف يعرفه من لا يقرأه إلا عند الاضطرار ؟ كقضاء وقت يعتبره ضائعاً ، أو أملت به مصيبة فتسلى بالقرآن حتى إذا انجلت الغمة أرجع المصحف إلى مكانه .

وقد ثبت عَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ هُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنَ الْإِبِلِ فِي عَقْلِهَا". رواه البخاري ومسلم

وثبت عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ، بَلْ نُسِّيَ وَاسْتَدْكِرُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ". متفق عليه

والذي لا يتعاهد القرآن لا يتمكن من تدبره كما ينبغي ، فيقع فيما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون داخلاً فيمن أنكر الله تعالى عليهم بقوله سبحانه: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا). محمد ٤ ٢

فتعاهد القرآن متلازم مع التدبر ولا يمكن تحقيق التدبر إلا مع تعاهده

**حكم التدبر :** قال ابن باز رحمه الله تعالى عندما سئل عن حكم التدبر : السنة التدبر ، ولو قرأ بغير تدبر فلا حرج ، ولكن السنة أن يعتني بالتدبر والنظر فيما يقرأ حتى يستفيد حتى ينتفع ؛ لأن الله يقول سبحانه: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ.. (٢٩) سورة ص، ويقول سبحانه: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ.. (٨٢) سورة النساء، كل هذا حث وتحريض على التدبر، فالسنة التدبر والعناية والحرص على فهم ما يقرأ والعمل، لكن لو قدر أنه شغل عن ذلك فلا حرج عليه.

### كيف نتدبر القرآن :

عندما أمرنا الله تعالى بتدبر القرآن وذم من لم يتدبر ، فإنه سبحانه وتعالى بين لنا كيف نتدبره ، بل ووسع سبحانه الأمر لنا في البحث عن الطرق والأسباب التي تعين على الفهم ، للوصول إلى التدبر المطلوب .

### والأمور التي تعين على التدبر كثيرة ، منها:

١- التأمل في سبب نزول القرآن : وأن الله تعالى أنزله للتدبر والعمل به ، وقد قال الإمام الزركشي في كتابه البرهان : من لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر لم يدرك من لذة القرآن شيئاً.

٢- الترتيل والتغني به : قال الله تعالى : { أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً } {المزمل ٤

وثبت عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَعَنَّ بِالْقُرْآنِ"، وَزَادَ غَيْرُهُ: "يَجْهَرُ بِهِ". رواه البخاري.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ قِرَاءَةً؟ قَالَ: "مَنْ إِذَا قَرَأَ رَأَيْتَ أَنَّهُ يُخْشَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ". رواه البيهقي في شعب الإيمان وهو صحيح

قال النووي: قال العلماء والترتيل مستحب للتدبر ولغيره قالوا يستحب الترتيل للعجمي الذي لا يفهم معناه لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب . ١.هـ

وما دام الأعجمي يتأثر بتلاوته مع عدم فهمه فكيف بمن يعرف معنى الآيات ؟!

بل وكيف بمن أعطاه الله فهماً أعمق منه غيره لمعاني الآيات ؟

٣- الاستعاذة عند تلاوته: والاستعاذة فيها طرد للشيطان ، وفي طرده تفرغ للقلب من وساوسه وسلطانه وجمع

له على فهمه وتدبره . قال الله تعالى : فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ { ٩٨ } إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ

سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ { ٩٩ } إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ

مُشْرِكُونَ { ١٠٠ } النحل

ومن المعلوم أن وسوسة الشيطان أكثر ما تكون عند العبادات وعند تلاوة القرآن بصفة خاصة فأمر القارئ أن يستعيد طرداً لوسوسته وتحقيقاً للتدبر والخشوع

ولذا فقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم الاستعاذة عند كل قراءة ، وقد ثبت عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ، ثُمَّ يَقُولُ: "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ"، ثُمَّ يَقُولُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" ثلاثاً، ثُمَّ يَقُولُ: "اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا" ثلاثاً، "أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ"، ثُمَّ يَقْرَأُ. رواه أهل السنن وهو صحيح

الهمز : الموتة وهي نوع من الصرع ، والنفخ : الكبر ، والنفث : الشعر

وثبت عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ: "أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ". رواه عبد الرزاق وهو صحيح

٤ - الإنصات عند تلاوته : وهو سبب لتدبر ومما يعين عليه ، قال الله تعالى : { وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ

وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } {الأعراف ٢٠٤

فغير القارئ مأمور بالإنصات وهو السكوت ، والاستماع وهو الفهم والتدبر ، والإنصات مع الاستماع معناهما

الإصغاء بالحواس مع سكوتها وسكوتها ، وهو من حسن الاستماع الذي امتدح الله أهله ، قال تعالى : { الَّذِينَ

يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ } {الزمر ١٨

٥ - الدعاء : وهو التضرع إلى الله تعالى إذا لم تستطع التدبر وتشتت ذهنك أن تلجأ إليه وتلج عليه أن يفتح

ما انغلق من قلبك ، وأن يعينك على التدبر ، ومن أفضل ما يدعى دعاء المكروب وقد ثبت عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ

أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَا ضِيَ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ، أَوْ

عَلِمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِبِيعَ قَلْبِي،

وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا"، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ

اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: "بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا". رواه أحمد وهو صحيح

ومن أعظم الهم والحزن أن يحرم الإنسان تدبر القرآن ، والحرمان من التدبر هو حرمان من هداية الله تعالى التي

هي أعظم الحرمان ، ولما كان الدعاء أحب الأعمال إلى الله تعالى كان الإتيان بشروطه سبباً لقبوله.



٦- معايشة معاني الآيات : من يعايش معاني الآيات فهو أوفر الناس حظاً بالتدبر والخشوع ، وحياة القلب مع التدبر ، والفرق بين حياة الأبدان وحياة القلوب كبير ، وهو بحجم الفرق بين يعيش ليحيى قلبه ومن يعيش لحياة بدنه ، وهو الفرق بين الصحابة رضي الله عنهم وبين المنافقين ، قال الله تعالى : { مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } هود ٢٤

وقال تعالى : { وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } محمد ١٦

٧- النظر في حرص السلف على تدبر آيات القرآن : والسلف من الصحابة والتابعين هم خير قدوة ، وقد ثبت عن مسروقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أَنْزَلْتُ، وَلَا أَنْزَلْتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أَنْزَلْتُ، وَلَوْ أَعْلَمَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ". متفق عليه.

٨- قيام الليل : القراءة في الصلاة مما يعين على التدبر وبالذات في صلاة الليل عندما يكون الناس نائمون ، والليل قد أرخى سدوله ، وفي آخر الليل ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا ، ويكون الدعاء أقرب إلى الإجابة والسائل أقرب إلى الأعطية والمستغفر أقرب إلى الاستغفار ، وقارئ القرآن أقرب وأمكن في الخشوع والتدبر ، قال الله تعالى : { إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلاً } المزمل ٦

وفي سنن أبي داود عن ابن عباسٍ، قَالَ: "أَقْوَمُ قِيلاً هُوَ أَجْدَرُ أَنْ يَفْقَهُ فِي الْقُرْآنِ". حسنه الألباني ولذا فقد خص الله تعالى بالثناء الذين يتلون آيات الله في الليل : { لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ } آل عمران ١١٣

فقيام الليل أَدعى إلى التدبر والخشوع من غيره من الأوقات ، ومن فضل القيام بالقرآن بالليل أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة كما ثبت عن عبد الله بن عمرو: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفَّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفَّعْنِي فِيهِ"، قَالَ: "فَيُشَفَّعَانِ". رواه أحمد وهو صحيح

٩- تهيئة الظروف المناسبة للقراءة : من حيث الوقت والمكان وظروفهما ، فليس كل وقت مناسب للقراءة

وليس كل مكان مناسب للقراءة ، والمرأة لكونها كثيرة الجلوس في البيت مع كثرة أعمال البيت وانشغالها بأولادها وزوجها وبيتها فإنها في أحيان كثيرة لا تتحصل على الهدوء المطلوب.

تم إلقاءه يوم الأحد ٢ صفر ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٢/١٠/٢٠١٧ م

معهد العلوم الشرعية العالمية